تحاول مطبوعة «سماء» العثور على طرق لمعالجة الكلية. والكونية عبارة تُربَط عادة بنظرة ميثولوجية إلى العالم. وهي أيضًا عبارة تُستخدَم لوصف معتقدات محددة لأنظمة معرفية غير حديثة أو غير غربية تُعتبَر أنها لا تطبق «مناهج علمية»، ولذلك لا ترقى إلى أن تكون معرفة حقيقية. تقلب هذه المطبوعة هذه العلاقة، عارضةً الكونية كشكل معرفي ملحّ لمعالجة تعقيدات معاصرة. فالكونية هي منهج لطرح الأسئلة حول الإنسان، والممارسات الصانعة للعالم، والخيال، وطرق التفكير في «عالم». أما الشبكات والعمليات المترابطة التي تنتشر عالميًا، بدفع من الرأسمالية وتدفقاتها المتسارعة، فتقلص في شكل متزايد أي تمييز بين الكبير والصغير، والمحلي والدولي، والوطني والغريب. وهذا يتطلب علمًا يعالج التشابكات المعقدة – فن يتعلق بـ«صورة العالم». كيف يمكن للتفكير بالكونيات أن يساعدنا بإعادة امتلاك المعرفة؟ أي شاعريات مطلوبة للإبحار عبر النوعية المتغيرة الشكل للواقع؟

يميل التفكير الكوني إلى طي الفئات «المنطقية»، وهو أمر يظهر فورًا في المقالة البصرية «استيريسِمْز» لـ**كابواني كيوانغا**. هنا يحصل التراكب البصري لوقتيات مختلفة، طاويًا الاستمراريات التاريخية في شكل غير متوقع من الربط العابر للمقاطع. ويبدو الزمن كطبقة منفردة وسميكة، كسطح منفرد على الصفحة المسطحة التي تتعايش عليها المتخيلات الشكلية والفضائية للسماء والنجوم وراء التحديد التاريخي: يلاقي المتخيل المعاصر لعصر الفضاء تاريخ التقنيات العلمية «الغربية»، فيما تُربَط المعرفة الفضائية الأفريقية بالمشاريع المعمارية «المستقبلية» على غرار مركز حديث للمؤتمرات. هذه المقالة تعبّر عن جمالية «كونية» مختلفة، جمالية يمكن كثيرًا لمجتمعات قديمة أن يكون فيها رواد فضاء من كواكب أخرى، ويمكن كثيرًا لهؤلاء الرواد أن يعودوا من المستقبل ليشاركوا حكمتهم المطلوبة جدًا. ويتتبع **أدريان لحود** الفصل الاصطناعي بين «الحكمة» الدينية و«المعرفة» العلمية، باعتباره عملية تاريخية من عمليات الترجمة المعرفية والتعاون المفهومي في مقالته «الماندالا والنموذج». كيف يفسر الفكر الغربي، المتجذر بصلابة في تقاليد التوحيد الديني الذي يشمل الأديان الإبراهيمية وكذلك الروحانية «العلمانية» للإغريق، التغير؟ ثمة حاجة إلى عامل فاعل، سواء أكان الله أو الشكل أو الطبيعة أو القوانين. ولطالما أُعطِي هذا العامل صفة خارجية في تقليد ديني – فلسفي يمكن تتبعه، بدءًا بأرسطو ومرورًا بابن سينا والغزالي، وانتهاءً بعصر التنوير. فالكونية «التوحيدية» التي ولّدت الإمبراطورية والقطاع المالي والتغير المناخي، تقوم في شكل متين على سببية فارقة: تحصل الأشياء وثمة تفسير لذلك. لكن ماذا يحصل حين يتذبذب التغير في شكل يفوق القياس، وحين يذوب تعدد الروابط – سواء أكانت وصايا دينية أو نظريات فلسفية أو قوانين علمية – الذي ربط الأجسام بحركة النجوم، وحين لا يعود سبيل العالم قابلًا للتفسير؟ ماذا يحصل حين تنهار الأسواق، وتتفكك الدول، ويتضرر المناخ في شكل لا رجعة فيه، ويُحرَم أشخاص تمتعوا بالمواطنة يومًا من حقوقهم؟ تلتقط **بيلين تان** تشعبات الغموض، إذ تسأل كيف تتخيل الكونيات السياسية وكالة أشخاص محددين، هم في هذه الحالة اللاجئون. وتعتمد مجموعتها المؤلفة من عشرة اقتراحات، واسمها «الخصوصيّات الأوّليّة: المخيّمات باعتبارها أشكالًا هندسيّة مسطّحة ممثِّلة للكونيّات»، على سنوات من البحوث في الأمكنة والأقاليم والبنية التحتية في جنوب شرق الأناضول. هنا، أنتج التلاقي الجيوبوليتيكي بين تركيا وسوريا والعراق وكردستان تأسيسًا لمستوطنات رسمية وغير رسمية كثيرة للاجئين. وتقدم المقالة مادة بصرية جمعتها **تان** من تلك المواقع – خرائط ورسوم بيانية وصور – حين حاولت تطوير أدوات نظرية لإعادة تصور «مخيم اللاجئين» وراء الأعراف

السياسية المتعلقة بالعزل والاستثناء والضحوية. وتُقترَح المخيمات كنسقيات يجري فيها سكانها ارتجالات إسمنتية وينشرون إستراتيجيات معيشية. والتجارب المتعلقة بالمشاعية ورسم الخرائط الاجتماعية والاقتصادات البديلة، تبيّن كلها ممارسات صنع العالم المقترحة داخل المخيمات. وتسهّل هذه الاقتراحات المؤقتة وسائل العمل مع المخيمات – سواء لناشط أو عامل اجتماعي أو معماري أو مهندس – التي تسعى إلى استخراج إمكانية إعادة تنظيم الفضاء السياسي و«المشاعات». ويمكن ربما تتبّع التحدي المتمثل في التعبير عن مشروع معاصر للمشاعية إلى قيام الرأسمالية المبكرة وتطويقها ومصادرتها الصادمَين للأراضي المشاع، فأطلقت بذلك عملية تاريخية للتغريب والفصل تستمر إلى وقتنا الحاضر. ويعالج **بيدرو نيڤيس ماركيز** الأمر في مقالته «كم من طبيعةٍ يمكن للطبيعة أن ترعى؟ الإنسان، ومذهب الطبيعات المتعددة، والاختلاف»، حيث يعيد النظر في الرأي العالمي المتعلق بـ«الحديثين»، وهم فئة مميزة عبّرت عن نفسها في معارضة للآخر «البدائي» عند التقاء الاستعمار الاستيطاني بالأميركتين. وفي هذا الوقت تمامًا، اختُرِع «البشري» وأُعطِيت «الطبيعة» صفة خارجية. وأصبح الذين اعتُبِروا «متوحشين» أو «طبيعيين» – النساء والأطفال والشعوب الأصلية وغير الأوروبيين والحيوانات والكائنات الخارجة عن البشر وكوكب الأرض نفسه – أقاليم للتراكم البدائي يجب ضمها إلى نظام إنتاج واستغلالها كموارد رخيصة هي في المتناول. ويجب فهم العنف المعرفي، المغذى بالجشع الإمبريالي، كـ«رأسمالية بشرية»، أي أن الحفاظ على «البشري» كفئة غير معلّمة (بيض، ذكور، حديثون) حاسم لتكشّف إعادة التنظيم الكوني التي أجراها رأس المال للكوكب. وإذ تبني المقالة على عمل الأنثروبولوجيين فيليب ديسكولا وإدواردو فيفيرو دي كاسترو، وكلاهما درس بكثافة الكونيات الهندية الأميركية في أمازونيا، تقترح «منظورية» الشعوب الأصلية كتحدٍّ حقيقي للنظام العالمي للحديثين. وتكون «الإنسانية» هنا نسبية، فهي مادة تخص المنظور المحدد الذي يتخذه كائن في العلاقة مع وكالة – لا يكون الإنسان حالة، بل عملية أو ممارسة تبني في شكل فاعل «منظورًا مشتركًا». ويتمثل التحدي اليوم في الانتقال إلى ما وراء العالم الإقصائي المتمحور حول نفسه الخاص بالحديثين، وفي البناء الفاعل لطريق إلى كينونة ما بين عوالم متعددة، يكون فيها «البشري» في تحول «دائم». طبعًا، لا يمكن التقليل من شأن الدور المهم الذي تؤديه اللغة في خلق العوالم وتدميرها، وهذه نقطة انطلاق لمساهمة **عمر برّادة وسارة ريغز**، «كائنات صغيرة مضيئة تقع من الأعلى – عن اللغة والسماء». هذه المقالة، بصفتها استخلاصًا شفافًا من الشعر العربي والأميركي اللاتيني الحديث، والكونية الهندية الأميركية، والتقليد الصوفي، والجيوبوليتيكا المعاصرة، تنظر هي ومواقفها الشعرية والبصرية المرافقة في استعمار الفكر واسترقاق الخيال. وفي الواقع، لو عنت الهيمنة الاستعمارية وصولًا إلى الموارد، كالأرض والماء، فالسماء هي الحدود الأخيرة، كأفق مادي وذهني. التغير المناخي، الأقمار الاصطناعية، الطائرات من دون طيار، السحاب، المراقبة، الواقع الافتراضي – هذه كلها وسائل يمكن من خلالها إبطال فرز السماء أو إعادة فرزها كأقاليم عبر القوة المدمرة للحداثة. فلو خضعت السماء للهيمنة فستتبعها اللغة، وهذا موقف اتُخِذ بناء على فرضية الخيالات الكثيرة الخاصة بالشعوب الأصلية والفولكلورية التي تربط الكلمات بنجوم والسماوات بنص. السماء تزخر بوجوه، الماء تزخر برسائل، السماء يجب أن تَقرَأ، السماء مصدر الصور، السماء ستقودنا، السماء ستخوننا. الكلمات لا ترحل، هي تتراكم فقط وصولًا إلى نقطة التشويش. والمسافة المتزايدة بين الأرض والسماء، وتجريد الأرض والهواء، ليسا مجرد فقدان للحميمية؛ هو عنف نهائي وقيامي موجه إلى كون من العلائقية الداخلية وتعايش الاختلافات.

أشكان سپهوند